جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

التشابه الدلالي في ألفاظ التدبير في القرآن الكريم (الخداع والكيد والمكر) عند المفسرين

رياض رزق الله أبو هولا
أستاذ
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
الجامعة الهاشمية - الأردن
hola9775@gmail.com

نهلة عبد العزيز الشقران
أستاذ
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
الجامعة الهاشمية - الأردن
n.alshgran@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/٠٧/٠٨
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٩/٠٤/١٠

التشابه الدلالي في ألفاظ التدبير في القرآن الكريم (الخداع والكيد والمكر) عند المفسرين

رياض رزق الله أبو هولا، نهلة عبد العزيز الشقران

الملخص:

يواجه القارئ لتفاسير النص القرآني إشكالية في ضبط مفهوم دلالة كل من ألفاظ (الخداع والكيد والمكر)؛ إذ عُرِّفت كل واحدة بالأخرى، والأمر ذاته وجد في كتب المعاجم، وهذه دراسة حاولت إيجاد فروق دلالية ما بين هذه الألفاظ من منطلق أن النص القرآني نص محكم لا يقع فيه لفظ موقع آخر فيؤدي دلالته. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: إمكانية تعريف الخداع بأنه: إرادة السوء بالآخر والتدبير له بفعل أو قول، أو منهما معًا، ويصدر من شخص مأمون الجانب؛ يظهر الخير ويبطن الشر، في حالة من الخفاء. إلا أنّ الكيد قد يكون لجلب منفعة، أما المكر فغالبه إرادة السوء بالآخر، والمكر يختلف عن الخداع وعن الكيد بأنه تدبير قوي كامل أكثر مما هو عليه فيهما وأشد خفاء منهما. وصرف غالب العلماء (خداع الله وكيده ومكره) إلى دلالة (العذاب).

الكلمات المفتاحية: الخداع؛ الكيد؛ المكر.

The Semantic Similarities in the Meditation Words in the Holy Quran (al-xidaaʕ ‘deception’, al-kayd ‘machination’, and al-makr ‘wiliness’) of Quran Interpreters

Riyad Rezqallah Abu Hawla & Nahla Abdulaziz Al-Shuqran

Abstract:

The reader of the Hoy Quran’s interpretations suffers the misconception of three different, but related, concepts, namely: al-xidaaʕ ‘deception’, al-kayd ‘machination’, and al-makr ‘wiliness’, where each concept entails the others even in the old dictionaries. This study tries to capture the semantic differences between these three different concepts based on the premise that the Qur’an is a precise text where no lexeme completely alternates any other ones. The study has found that al-xidaaʕ ‘deception’ denotes the will to do evil to the other people by saying or doing (or both); it is made by a reliable person who shows good but line evil. al-kayd ‘machination’, by way of contrast, may be made to bring benefit. al-makr ‘wiliness’, however, is employed to intent harm for others and differs from the first two concepts in that it is more severe, more controlled, and more hidden than them. Most of the interpreters proposed that the use of these three terms with Allah denotes torment.

Keywords: Alxidaa; Alkayd; Almakr

المقدمة:
إنّ من أشرف ما تُقضى به الأوقات، وتفنى في تحصيله الأعمار، طلب العلم، ويزداد رفعة وشرفًا إذا ما اتصل بكتاب الله عز وجل، ولـمّـا كانت دلالة النص-سواء أكان مسموعًا أم مقروءًا- هي الغاية المنشودة لكل متلق، كان هذا الأمر حافزًا لي للبحث عن دلالة مجموعة من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم، وهي(الخداع، والكيد، والمكر) إذ يظن الكثير أنّ دلالة هذه الألفاظ أمر بسيط، لا يحتاج لمزيد نظر ؛لكنني -وعند بحثي عن دلالاتها- وجدت تداخلًا كبيرًا فيما بينها، ولقد عُرِّف كل لفظ منها بالآخر، حتى يُظَنُّ أنها مترادفة. ونحن نعلم أنّ النص القرآني نص محكم من لدن عليم خبير، وأن لا لفظةَ تقوم مقام الأخرى فتؤدي دلالتها.

ولقد عزز رغبة البحث لدي في هذه المسألة ما قرأته في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور إذ قال: «والكَيْدُ لم يضبط تحديد معناه في كتب اللغة، وظاهرها أنّه يرادف المكر والحيلة»(ابن عاشور،١٩٩٧، ١٩٢/٩) علاوة على أنني لم أجد دراسة مستقلة تناولت هذا الأمر -في حدود اطلاعي-.

وعليه فقد جاء هذا البحث، ليوضح الإشكال القائم في تعريف هذه الألفاظ وتحديد دلالتها لدى علماء اللغة وعلماء التفسير من جهة، والبحث عن صفات الاختلاف التي تميز كل واحدة عن الأخرى من جهة ثانية، وبناءً على ذلك فقد قسمت البحث إلى: مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، بينت في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، أما المبحث الأول فحمل عنوان: ألفاظ الخداع والكيد والمكر دراسة معجمية لغوية؛ حيث تناولت فيه دلالة هذه اللفظ لغة، ثم درستها دراسة صرفية إحصائية. وتناولت في المبحث الثاني آيات الخداع، أمّا المبحث الثالث فتناول آيات الكيد، وجاء المبحث الرابع عن آيات المكر. وبينت في الخاتمة أهم ما وصلت إليه من نتائج. ولقد وضعت ملحقًا أدرجت فيه آيات الخداع والكيد والمكر، مكتفيًا بذلك عن تكرار ذكرها داخل متن البحث تجنبًا للإطالة.

وكان منهج البحث وصفيًا تحليليًا؛ إذ قمت بجمع المواضع التي تناول فيها العلماء هذه الآيات، ثم قمت بعرض الآراء ومناقشتها من خلال كتب اللغة وكتب التفاسير المختلفة، محاولًا الوصول إلى الفروق الدلالية ما بين هذه الألفاظ، وبالتالي الوصول إلى تعريف يميز كل لفظة عن الأخرى.

المبحث الأول: ألفاظ الخداع والكيد والمكر دراسة معجمية.

الخداع (لغة):
رودت لفظة (الخداع) في جميع المعاجم العربية، وأول ما نطالع هنا معجم العين، فنرى أنه لا يبين دلالة الفعل (خَدَعَ) وكأنه من المعروف الذي لا يُعرّف، بيد أنه يشير إلى دلالات أخرى متعلقة به، فيقول: «خدع: خَدَعَهُ خَدْعاً وخَدِيعَةً، والخَدْعَةُ الـمَرَّةُ الواحدة والانخداع: الرِّضا بالخَدْعِ والتَّخادع: التَّشبه بالمخدوع. والخُدْعَةُ: الرجل المخدوع...وطريق خَيْدَعٌ: مخالف للقصد، جائرٌ عن وجهه لا يُفطَنُ له...والإخْدَاعُ: إخفاء الشَّيْء، وبه سُمِّيت الخِزانة مُخْدَعاً.»(الفراهيدي: خدع). وذكر الأزهري في معجمه العديد من المعاني للخداع فقال: « يُقَال: رجل خدّاع وخَدُوع وخُدَعة، إذا كان خَبّاً (رجلٌ خَبٌّ وخِبٌّ: خَدَّاع جُرْبُزٌ، خَبيثٌ مُنْكَرٌ، وَهُوَ الخِبُّ والخَبُّ. انظر :(ابن منظور، ١٤١٤) ...وروي في الحديث: (الحَربُ خَدْعةٌ) (البخاري،١٤٢٢، ٤/٦٤؛ ابن الحجاج، ٣/١٣٦٣)، أَي ينقضي أمرها بخَدْعةٍ واحدة... وخدَع الثَّعلب، إذا أخذَ في الرَّوغان... والخِداع: الْحِيلَة... رجلٌ مخدَّع، أَي مجرَّس صَاحب دهاء ومَكر، وفلانٌ خادعُ الرأي، إذا كان متلوِّنًا لا يثبت على رأي واحد»(الأزهري، ٢٠٠١). وأضاف ابن منظور: "الخَدْعُ: إظهار خلاف ما تخفيه، وخدعه: أَراد به المكروه وخَتَلَهُ من حيث لا يعلم» (ابن منظور، ١٤١٤).

ومن السابق نرى أن محاور الخداع تدور حول الاحتيال على الآخر، ومخالفة الجهة والقصد، والإخفاء، كما أنّها تشير إلى صفات سلبية في غالبها، ولعل الرابط العام لهذه الدلالات هو كون الخداع يشير إلى إظهار خلاف ما تبطن، وكأنه (النفاق)، كما وفسر الخداع بالمكر.

الكيد (لغة):
ذكر ابن فارس أنّ: «الكاف والياء والدال، أصل صحيح يدل على معالجة لشيء بشدة. والكيد المعالجة وكل شيء تعالجه فأنت تكيده، هذا هو الأصل في الباب، ثم يتسع الباب، وكله راجع إلى هذا الأصل ثم يسمون المكر كَيْدًا. قال اللَّه تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ (الطور، ٤٢) ويقولون: هو يَكِيدُ بنفسه أي: يجود بها كأنه يعالجها لتخرج... والكيد: الحرب يقال: خرجوا ولم يَلْقَوْا كيدا أي: حربًا» (ابن فارس، ١٩٧٩). وقد ذكر ابن منظور هذه المعاني وأضاف إليها: «الكَيْدُ: الخُبْثُ والمَكْرُ...، والكَيْدُ: الاحتيالُ والاجتهاد وبه سُمِّيت الحرب كَيْدًا... والكيد: السَّوْقُ. والكَيْدُ: التَّدْبِيرُ بباطل أو حَقّ... ويقال: فلانٌ يكيد أمرًا ما أدري ما هو إذا كان يريغه ويَحْتالُ لَهُ ويسعى له ويَخْتِلُه» (ابن منظور، ١٤١٤). ومن السابق نرى أنّ الكيد فيه نوع من الشدة في التدبير لأمر ما سواء أكان بحق أم بباطل وهو الاحتيال واللافت أنّه فسر بالمكر والناظر يرى تقاطع هذه الصفات مع تعريف الخداع.

المكر (لغة):
يطالعنا الخليل -رحمه الله- بقوله: «الـمَكْرُ: احتيال في خفية والمكر: احتيال بغير ما يضمر والاحتيال بغير ما يبدي هو الكيد والكيد في الحرب حلال والمكر في كل حال حرام (الفراهيدي: مكر). ونرى ما في عبارة الخليل من صعوبة فبين أنّ المكر يكون بخفية ثم قال بأنه مخالف لما يضمر في القلب (الظاهر خلاف الباطن) أي (بخفاء)، وعليه يكون الأول هو الثاني ثم جعل الكيد خلاف الظاهر أي (الظاهر خلاف الباطن)؛ فما هو الفرق بين الكيد والمكر إذن؟ لكنه قسم الكيد إلى قسمين جائز لهدف محمود وغير جائز وجعل المكر حرام مطلقا فهل هذا محل اتفاق بين العلماء؟

وقال ابن فارس: «الميم والكاف والراء كلمتان مُتباينتان: إحداهما المكر: الاحْتيال والخداع. ومكر به يمكر، والأخرى خدالة الساق» (ابن فارس، ١٩٧٩). وها هو ابن فارس يعرف المكر بالخداع فهل هما مترادفتان؟ وأضاف ابن منظور: "إن أَصل الـمـكر الخِداع»

(ابن منظور، ١٤١٤)
لعلنا شاهدنا تعدد المعاني اللغوية للمفردة الواحدة، وتقاربها في الدلالة، فاجتمعت دلالة الألفاظ الثلاث على الحيلة ففسر الخداع بالحيلة، والكيد بالاحتيال والاجتهاد، والمكر بالاحتيال في الخفية! وقد قيل أيضا: إن العرب يسمون المكر كيدًا، وفسروا الكيد بالمكر، وتلاقى المكر والكيد أيضا بدلالتهما على التدبير، والمكر والخداع بدلالتهما على الخفاء! وانفرد الكيد بالمعالجة بشدة، فهل يكون بالعمل لا بالتفكير أو القول فقط. وبالمجمل فقد فسرت هذه الألفاظ ببعضها في أغلب الأحيان.

ومع الميل إلى أنّ العربية لم تستعمل كلمة بمعنى أخرى إلا لدلالة في الكلمة الثانية تزيد على الأولى، وإذا اعتمدنا قول من ألغى الترادف في العربية – وبالأخص في القرآن الكريم – نصطدم بإشكال واضح من خلال الكلام السابق فما الفرق فيما بينها؟ وما أوجه ترادفها؟ وهذا ما سنبحثه – بعون الله – في المباحث القادمة إن شاء الله.

الدراسة الصرفية الإحصائية.

عند إحصائنا لجميع الألفاظ الواردة في الآيات الكريمة نجد أن بعض الصيغ قد تصدرت وبعضها اختفت تماما؛ والجدول (١) يوضح ذلك، ومن السابق نرى أنّ المصادر تصدّرت آيات الكيد والمكر وخلت آيات الخداع من صيغ المصدر. ومن المعلوم أنّ المصدر يحمل دلالة الثبوت ولعل ذلك لما يحتاجه تدبير الحيلة من وقت للتدبير والتخطيط. وجاءت الأفعال في المرتبة الثانية إذ تصدر المضارع (الثلاثي) صيغة الأفعال وورد المضارع الرباعي بصيغة المفاعلة مرتين في آيات الخداع (يخادعون)؛» وهذه الصيغة تأتي لمعان منها التشارك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحد بصاحبه فعلا، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية «(الهنداوي، ٢٠٠٨، ١٢٦). ولم يرد الفعل الماضي في آيات الخداع أبدًا، وورد مرة واحدة في آيات الكيد، وإحدى عشرة مرة في آيات المكر. أمّا فعل الأمر فلم يرد في آيات الخداع ولا في آيات المكر، وورد ثلاث مرات في آيات الكيد. وكما نعلم أن الجملة الفعلية تدل على الحركة والاستمرار والتجدد وإن حاولنا ربط هذا الأمر بدلالات الأفعال وجدناها تتناسب مع معنى الحركة والاستمرار، لما يحتاجه تدبير الحيلة من تفكير وابتكار دائمين وتجديد في أنواعها؛ لئلا يتوقعها الخصم فيقع أثرها كما يُدبَّر لها ولما تحتاجه من تجدد وعدم تكرر، إذ لو تكررت الحيلة لم تعد ذات فائدة ترجى.

وجاءت المشتقات – وهي ما تدل على الحدث مع دلالة بلاغية أخرى على حسب نوع المشتق – قليلة إذ ورد (اسم الفاعل) مرة واحدة في آيات الخداع (خادِعهم)، وورد مرتين في آيات المكر(الماكرين). ونلاحظ أن اسم الفاعل (خادع) لم يرد إلا في حق الله عز وجل! لأنه – سبحانه – المتفرد بالفعل دون تحول ولا تغيّر , ففعله عز وجل ثابت وواقع لا محالة وجاءت الصورة الأخرى من باب التفضيل (خير الماكرين) فمكر غالب ومكر مغلوب وعليه فإن ظاهر اللفظة يدل على الفاعلية من قبل الكفار و المنافقين وغيرهم بيد أنها تدل في الواقع على المفعولية .أمّا اسم المفعول فقد ورد مرة واحدة فقط في آيات الكيد (المكيدون) وهو «وصف يؤخذ من مضارع مبني للمفعول للدلالة على ما وقع عليه الفعل «(شاهين، ١٩٨٠، ١١٦) ونلاحظ أن اسم المفعول لم يرد إلا في حق البشر لأنه سبحانه يستحيل أن يقع عليه الكيد.

ومن خلال استطلاع الجمل في الآيات محل الدراسة نجد أنّ غالب الجمل كانت جملًا فعلية وأما الاسمية فكانت قليلة وغالبها تحول من جملة اسمية بسيطة إلى جملة منسوخة أما باقي الأسماء من ألفاظ الكيد والمكر فكانت متعلقة بجملة فعلية إذ وقعت فاعلاً لها أو مفعولًا أو شبه جملة إلى غير ذلك. وعليه فلعلنا نستشف من هذا أنّ كل من (الخداع والكيد والمكر) في غالبها أداء فعلي يحتاج إلى الحركة والفعل أكثر من القول والكلام.

وعند النظر في اتصال هذه الألفاظ بالأسماء الظاهرة أو المضمرة نجد الغالب الكثير منها متصل بدلالة الجمع، وقل اتصاله بالمفرد إلا إذا كان مسندًا لذات الله أو إلى سيدنا إبراهيم في آية واحدة ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ (الأنبياء، ٥٧)، وآيتين مع فرعون وهما قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ (طه:٦٠). و﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر، ٣٧)، وآية مع الشيطان وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء، ٧٦)، وآية مع السحرة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ (طه، ٦٩). وسنرى لاحقًا أنّ كيد فرعون يعود إلى صيغة الجمع، أما في قوله تعالى (كيد ساحر) فالمقصود جنس السحرة والدلالة جمعية علاوة على قوله (صنعوا). أمّا المكر فلم يتصل إلا بالجمع أو كان يشير إلى جنس المكر.

ولعلنا نلحظ هنا أنّ هذه الأفعال – أقصد أفعال الخداع والكيد والمكر- تحتاج إلى عقل جمعي يتصف بأنه تفكير من درجة متوسطة؛ وذلك حتى تكون الفكرة أقوى وأقرب للنجاح، أو إلى عقل يتصف بأنه صاحب تفكير غير عادي كالشيطان مثلا، أو إلى داهية ولذا كان العرب يعدون الدهاة لديهم واحدًا واحدًا فلم يزيدوا على اليد الواحدة تقريبًا.

جدول (١): احصاء ألفاظ (الخداع، والكيد، والمكر) في القراءن الكريم

اللفظة	نوع الصيغة									المجموع
	المصدر المعرف بـ(أل)	المصدر المضاف	المصدر النكرة	اسم الفاعل	اسم المفعول	الفعل الماضي	الفعل المضارع	فعل الأمر		
الخداع	–	–	–	١	–	–	٤	–		٥
الكيد	–	١٩	٧	–	١	١	٤	٣		٣٥
المكر	٢	١١	٦	٢	–	١١	١١	–		٤٣
	مجموع الأسماء: ٤٩					مجموع الأفعال: ٣١				

جدول (٢): اسناد ألفاظ (الخداع، والكيد، والمكر) لذات لله عزوجل

الخداع	الكيد	المكر
وهو خادعهم	كيدي متين/ كيدي متين/ كدنا/ أكيد كيدًا	مكَر الله/ مكْر الله/ مكْر الله/ الله خير الماكرين/ الله خير الماكرين/ يمكر الله/ الله أسرع مكرًا/ لله المكر جميعًا/ مكرنا مكرنًا
١	٤	٩

ونقف أخيرًا عند إسناد هذه الألفاظ لذات الله كما هو موضح في الجدول (٢) حيث يتضح أنّ المكر كان أعلاها، فالكيد، فالخداع. إلا أنّنا يجب أن نعلم أن غالب العلماء أخرجوا هذه الصفات إلى باب التأويل ولم يقروها على ظاهرها. ولكن ما دلالة هذا الأمر وهل له علاقة بمستويات التدبير؟

المبحث الثاني: آيات الخداع.

سنشرع في هذا المبحث – بعون الله – في بيان دلالات الآيات وأثر السياق في تعدد الدلالة للكلمة الواحدة، وكيف يؤثر هذا الأمر على الفهم. فهو يلعب دورا كبيرا في تحديد المعنى، وترجيح أحد المعاني اللغوية على الآخر، وبمعزل عن دراسة أثر السياق في تغير دلالة اللفظة الواحدة فإن دلالتها تتساوى في المواقع المختلفة وهذا ما يؤدي إلى الخطأ في فَهْم المراد.

والنص القرآني بالتحديد نص محكم ولا يوجد فيه حرف وضع عبثا، لذلك كان سياق الآيات مؤثرا في عملية الفهم والتفسير، وقد عرّف الدكتور المثنى عبد الفتاح السياق القرآني بقوله :»تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال» (محمود، ٢٠٠٨، ١٥).وقد قال فان دايل مؤكدا على أهمية السياق: «إن الجمل لا تؤول حسب نماذج معزولة، بل متناسبة لكون تأويل الجمل المترابطة مندرجة في نماذج متصلة، وإنما تتحد العلاقة الموجودة بين الجمل باعتبار هذه التأويلات» (دايل، ٢٠٠٠، ١٤٠).

إنّ الناظر في آيات الخداع يرى أنها تنقسم إلى أربعة مواضيع رئيسة: خداع المنافقين الله عز وجل، وخداع الله عز وجل المنافقين، وخداع الأنفس، وخداع النبي -صلى الله عليه وسلم- من قبل من يميل إلى السلم والمصالحة من الكفار.

لقد تناول المفسرون هذه الآيات، وقاموا بتعريف (الخداع) فيها، يقول الزجاج :» يخادعون: يظهرون غير ما في نفوسهم» (الزجاج، ١٩٨٨، ٨٥/١).وهذه إشارة إلى تمكن صفة النفاق من نفوسهم، ويرى صاحب الكشاف أنّ الخداع: «أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه» (الزمخشري، ٥٦/١)، فالخداع وهم و شر، ويؤكد الرازي ما جاء عند كليهما، فقال: «اعلم أنه لا شبهة في أن الخديعة مذمومة، والمذموم يجب أن يميز عن غيره لكي لا يفعل، وأصل هذه اللفظة الإخفاء... وأما حدها فهو إظهار ما يوهم السلامة والسداد، وإبطان ما يقتضي الإضرار بالغير والتخلص منه» (الرازي، ١٤٢٠، ٣٠٣/٢).وتبعهم البيضاوي (١٤١٨، ٤٤/١). وفرق ابن عطيّة بين الخداع والمكر، فقال: «المكر: هو أن تدبر على الإنسان تدبيرا يضره ويؤذيه، والخديعة هي أن تفعل بإنسان وتقول له ما يوجب أن يفعل هو فعلا فيه عليه ضرر» (ابن عطية، ١٤٢٢، ٢٨٤/٣) فكل من المكر والخديعة فيه ضرر بالآخر، وفي حال من الخفاء، في حين نلمح وجود الثقة لدى المخدوع بالخادع، فهو قريب منه ويعرفه ويخالطه، ولا يعلم أنه يريد به سوءًا.

ويوسّع الراغب الدائرة لتشمل الخير والشر، فيرى أن المكر والخديعة: «إنما هو استنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبدي منه خلاف ما تخفيه. ويتحرّاه مستعمله على وجهين: أحدهما: قاصداً به استنزال الغير عن ضلال إلى الرشد وذلك جميل، وهو كما يفعله الأب البار بابنه من تحذير يستجره به إلى ترك شر أو تعاطي خير... وقد علم أن هذا الفعل وإن أطلق عليه لفظ الخديعة والمكر فهو فعل حسن، فإذا المكر والخديعة وإن كان لفظهما مستبشعاً فقد يقصد به وجه محمود» (الراغب، ١٩٩٩، ٩٧/١).

بيدَ أنّ الناظر في آيات الخداع لا يجد إلا استنزال السوء.

ويبين ابن عاشور أنّ الخداع يكون بالفعل وحده أو بالقول معه، فقال: «وَالْخَدْعُ هو فعل أو قول معه ما يُوهِمُ أنّ فاعله يريد بمدلوله نفع غيره، وهو إنّما يريد خلاف ذلك». (ابن عاشور، ١٩٩٧، ٢٧٤/١) إلا أنّ الشعراوي قرن الفعل بالقول، وساوى بين الخداع والمكر، فقال: «وكلمة (خدع) تعني: (مكر به مكراً) فيبدي له قولاً وفعلاً ويخفى سواهما حتى يثق فيه، وبعد ذلك ينفذ المكر» (الشعراوي، ١٩٩٧، ٢٧٣٨/٥). وكلاهما يؤكد قول ابن عطية السابق.

بناء على التعاريف السابقة يتضح أنّ الخداع يشتمل على عدد من الأمور وهي: الخفاء والإيهام للطرف الآخر والاحتيال عليه، وإرادة السوء به، وأنه يكون بالفعل والقول، ويصدر من شخص منافق أو يُظن أنه مأمون الجانب. لكن هل تصدق هذه الخصائص على خداع الإنسان لله تعالى أو لنفسه وقبل هذا هل يجوز أن يوصف الله عز وجل بهذا الوصف؟

بداية لا بدّ لنا من الوقوف عند صيغة (يخادع) وهي التي تشير إلى المشاركة بوجود غير واحد يقوم بالفعل ذاته، فهل يصدق هذا الفعل بحق الله، وحق المؤمنين؟ لقد تناول العلماء هذه الصيغة مبينين رأيهم فيها، فمنم من يرى أنها تستعمل للواحد كما تستعمل للاثنين وهي صيغة محولة عن أصل آخر، ومنهم من يرى أنها جاءت على أصلها.

أولًا: يرى أبو عبيدة أنّ «(يُخادِعُونَ) في معنى يخدعون، ومعناها: يظهرون غير ما في أنفسهم ولا يكاد يجئ (يفاعل) إلّا من اثنين إلا في حروف هذا أحدها» (أبوعبيدة، ١٣٨١، ٣١/١). ويؤكد الزجاج ما ذهب إليه أبو عبيدة، فقال: «وجاءَ بفَاعِلَ لغير اثنين؛ لأن هذا المثال يقع كثيراً في اللغة للواحد نحو عاقبت اللص، وطارقت النعل» (الزجاج، ١٩٨٨، ٨٥/١). وتناول ابن جني هذه الصيغة فقال: «وأما (فاعلت) فأكثر ما يجيء من اثنين، نحو: (ضاربت زيدًا) و(شاتمت عمرًا) وقد يكون من الواحد نحو (طارقت النعل وعاقب الأميرُ اللّصَ)، ولا تكاد تراه إلا متعديا» (ابن جني، ١٩٥٤، ٩٢).

وأكد الزمخشري توجّه أبي عبيده مبيِّنًا العلة من استعمال خادع لغير اثنين بـ «أن يقال: عنى به (فعلت) إلا أنه أُخرج في زنة

(فاعلت)؛ لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه». (الزمخشري،١/٥٨) وينقل ابن عَطِيَّة عن الخليل-ولم أجده في العين- قوله: «يقال: خادع من واحد؛ لأن في المخادعة مهلة، كما يقال: عالجت المريض لمكان المهلة... وهذا من دقيق نظره وكأنه يرد فاعل إلى الاثنين، ولابد من حيث ما فيه مهلة ومدافعة ومماطلة، فكأنه يقاوم في المعنى الذي تجيء فيه فاعل» (ابن عطية، ١٤٢٢، ١/٩١-٩٢). وأكد ابن عاشور كلام الزمخشري، فقال: «وهذا يرجع إلى جعل صيغة (المفاعلة) مستعارة لمعنى المبالغة، بتشبيه الفعل القوي بالفعل الحاصل من فاعلين على وجه التبعية»(ابن عاشور، ١٩٩٧، ١/٢٧٦).

ثانيًا: ردّ الطبري رأي أبي عبيدة، فقال: «قيل: قد قال بعضُ المنسوبين إلى العلم بلغات العرب-يقصد أبا عبيدة-: إنّ ذلك حرفٌ جاء بهذه الصورة أعني (يُخَادِع) بصورة (يُفَاعِل)، وهو بمعنى(يَفْعَل)، في حروفٍ أمثالها شاذةٍ من منطقِ العرب، نظيرَ قولهم: قاتَلك الله، بمعنى قَتَلك الله. وليس القول في ذلك عندي كالذي قال، بل ذلك من(التفاعل) الذي لا يكون إلا من اثنين، كسائر ما يُعرف من معنى (يفاعل ومُفاعل) في كل كلام العرب. وذلك: أن المنافق يُخادع الله جل ثناؤه بكَذِبه بلسانه - على ما قد تقدّم وصفه - والله تبارك اسمه خادِعُه، بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاةُ نفسه في آجل مَعادِه» (الطبري، ٢٠٠٠، ١/٢٧٤-٢٧٥). وبهذا نرى أنّ الطبري جعل الصيغة على بابها، وليست محوّلة؛ أي مخادعة على الحقيقة.

ثالثًا: وُرُوْد قراءة بغير هذه الصيغة، حيث قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (يخادعون... وما يخادعون) بالألف فيهما. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائيّ (يخدعون...وما يخدعون) بفتح الياء بغير ألف (الفارسي، ١٩٨٤، ١/٣١٢-٣١٣؛ الداني، ٢٠٠٥، ٢٥، ٣٨٧)» وحجتهم أن المخادعة تكون بين اثنين فلا يكون الإنسان الواحد مخادعا لنفسه «(الرازي، ١٤٢٠، ٢/٣٠٤)، ويبين ابن عاشور وجه القراءة الأخرى فيقول: «وهذا إنما يدفع الإشكال عن إسناد صدور الخداع من الله والمؤمنين مع تنزيه الله والمؤمنين عنه، ولا يدفع إشكال صدور الخداع من المنافقين لله»(ابن عاشور، ١٩٩٧، ١/٢٧٦).

وعليه فغالب العلماء يرون أنّ هذه الصيغة محولة عن أصلها، وخرجت لغاية بلاغية من أجل المبالغة، وتشبيه الفعل الضعيف الصادر من واحد بالفعل القوي الصادر من غير واحد.

ونشرع هنا في بيان معاني خداع المنافقين الله عز وجل مما ورد في عدد من كتب التفسير، إذ إنها تنحصر في ثلاثة آراء، وهذه الآراء هي:

أولًا: أن يكون المقصود هو النبي أو المؤمنين وهو من باب المجاز العقلي قال الزجاج: «أي يخادعون النبي - صلى الله عليه وسلم - بإظهارهم له الإيمان وإبطانِهم الكفْر، فجعل الله عزَّ وجلَّ مخادعة النبي - صلى الله عليه وسلم - مخادعة له. كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (الزجاج، ١٩٨٨، ٢/١٢٢-١٢٣). والآية هي الآية العاشرة من سرة الفتح). ويؤكد الزمخشري هذا التوجه فهو «خليفته في أرضه، والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده...أو أن يكون من قولهم: أعجبني زيد وكرمه، فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله. وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص، ولما كان المؤمنون من الله بمكان، سلك بهم ذلك المسلك»(الزمخشري، ١/٥٧-٥٨)، وقد ذكر الإمام الرازي السبب نفسه، (انظر، ١٤٢٠، ٢/٣٠٣) ويذكر ابن عاشور سببًا آخر لكون المقصود من آمن بالله «فهم قصدوا خداع المؤمنين لأنهم يكذبون أن يكون الإسلام من عند الله فلما كانت مخادعتهم المؤمنين لأجل الدين كان خداعهم راجعا لشارع ذلك الدين» (ابن عاشور، ١٩٩٧، ١/٢٧٥).

ويبين الإمام الرازي أن مخادعة الله ممتنعة، وذلك لأمرين (الرازي، ١٤٢٠: ٢/٣٠٣):

الأول: لأن الله تعالى يعلم السر وأخفى.

الثاني: أن المنافقين لم يعتقدوا أن الله بعث الرسول إليهم، فلم يكن قصدهم في نفاقهم مخادعة الله تعالى، فثبت أنه لا يمكن إجراء هذا اللفظ على ظاهره بل لا بد من التأويل؛ بإيراد الرسول كعادة الله عز وجل بتعظيم وتفخيم شأنه صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: أن يكون الأمر من باب الاستعارة التمثيلية، قال الزمخشري: «كانت صورة صنعهم مع اللَّه حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون، صورة صنع الخادعين. وصورة صنع اللَّه معهم- حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار- صورة صنع الخادع، وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر اللَّه فيهم فأجروا أحكامهم عليهم» (الزمخشري، ١/٥٧)، وبيّن ابن عاشور قول الزمخشري، إذ يعد «تشبيها للهيئة الحاصلة من معاملتهم للمؤمنين ولدين الله، ومن معاملة الله إياهم في الإملاء لهم والإبقاء عليهم، ومعاملة المؤمنين إياهم في إجراء أحكام المسلمين عليهم، بهيئة فعل المتخادعين.» (ابن عاشور، ١٩٩٧، ١/٢٧٦).

ثالثًا: «أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن اللَّه ممن يصح خداعه؛ لأن من كان ادعاؤه الإيمان باللَّه نفاقًا لم يكن عارفًا باللَّه ولا بصفاته، ولا أن لذاته تعلقًا بكل معلوم، ولا أنه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون اللَّه في زعمه مخدوعًا ومصابًا بالمكروه من وجه خفي، وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم» (الزمخشري، ١/٥٧). وقد ذكر القرطبي الرأيين الأول والثالث في تفسيره، ٢٠٠٣، ١/١٩٥).

أما عن مخادعة الله عز وجل للمنافقين بقوله (وهو خادعهم) فلقد تعددت آراء العلماء حول تفسير هذه اللفظة، وتمحورت آراؤهم حول ما يأتي:

أولًا: مجيئها على أصل دلالة اللفظ (الخداع)؛ وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا؛ حيث قال:

«أنَه تعالى خادعهم في الآخرة، وذلك أنه تعالى يعطيهم نورًا كما يعطي المؤمنين فإذا وصلوا إلى الصراط انطفأ نورهم وبقوا في الظلمة» (الرازي، ١٤٢٠، ١١/٢٤٨).

ثانيًا: أن تكون على سبيل الجواب لا على الحقيقة: يقول الأخفش: «وقد قال: (وَهُوَ خَادِعُهُمْ) فذا على الجواب. يقول الرجل لمن كان

يخدعه إذا ظفر به «أَنَا الذي خدعتُكَ» ولم تكن منه خديعة ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه. وكذلك ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ (آل عمران، ٥٤). ﴿واللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة، ١٥) على الجواب. والله لا يكون منه المكر والهزء. والمعنى: أن المكر حاق بهم والهزء صار بهم» (الأخفش،١/ ٤٠).

ثالثًا: أن تكون بمعنى الجزاء والعقوبة: وممن ذهب إلى ذلك الزجاج؛ فقد أورد أن: «مُخادعةُ اللَّه إياهم جزاؤُهم على المخادعة بالعذاب، وكذلك قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ (الأنفال:٣٠). وقيل: وهو خادِعُهُم بأمره عزَّ وجلَّ بالقبول منهم ما أظهروا، فاللَّه خادعهُمْ بذلك» (الزجاج، ١٩٨٨، ٢/ ١٢٣) وهذا ما ذهب إليه الزمخشري حيث قال: «هو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا، وأعدّ لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة، ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم». (الزمخشري، ١/ ٥٧٩) وتابعهم الرازي (١٤٢٠، ١١/ ٢٤٨).

رابعًا: أن تكون من باب المقابلة اللفظية أو المشاكلة، وقد فسرت العديد من الألفاظ بناء على هذا كما في الآيات سالفة الذكر(انظر على سبيل المثال: ابن عطية، ١٤٢٢، ١/ ٩٧؛ ابن عرفة، ١٩٨٦، ١/ ١٥٠)،وجاء الخداع هنا بمعنى (الاستدراج) قال ابن عاشور: «وهو خادعهم: أي فقابلهم بمثل صنيعهم، فكما كان فعلهم مع المؤمنين المتبعين أمر الله ورسوله خداعا لله تعالى، كان إمهال الله لهم في الدنيا حتى اطمأنوا وحسبوا أن حيلتهم وكيدهم راجا على المسلمين وأن الله ليس ناصرهم، وإنذاره المؤمنين بكيدهم حتى لا تنطلي عليهم حيلهم، وتقدير أخذه إياهم بأخرة، شبيها بفعل المخادع جزءا وفاقا. فإطلاق الخداع على استدراج الله إياهم استعارة تمثيلية، وحسنتها المشاكلة لأن المشاكلة لا تعدو أن تكون استعارة لفظ لغير معناه مع مزيد مناسبة مع لفظ آخر مثل اللفظ المستعار. فالمشاكلة ترجع إلى التلميح، أي إذا لم تكن لإطلاق اللفظ على المعنى المراد علاقة بين معنى اللفظ والمعنى المراد إلا محاكاة اللفظ، سميت مشاكلة كقول أَبِي الرَّقَعْمَقِ (البيت من الكامل، لأبي الرقعمق، أحمد بن محمد الأنطاكي في: (العباسي، ٢/ ٢٥٢؛ الهاشمي، ١٩٩٩، ٣٠٩، ونسب إلى جحظة البرمكي في: العسكري، ١/ ٢٢٧؛ التيفاشي، ١٩٨٠، ٢٦٥):

قَالُوا: اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ... قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا»(ابن عاشور، ١٩٩٧، ٥/ ٢٣٩).

ويجد الناظر في كتب التفسير أنّ الغالب على القول الثالث؛ من كون دلالة اللفظ مشيرة إلى الجزاء، ولعلنا نرى أن الرأي الرابع يعود إلى الرأي الثاني في إطاره البلاغي، وكلاهما يبين العلة البلاغية من وجود التكرار اللفظي، لكن دلالة اللفظ هي النتيجة فما نتيجة الاستدراج؟ إنها العذاب والعقوبة على صنيعهم.

أما في حديثنا عن خداع الأنفس، فينطلق من سؤال فحواه، هل الإنسان يخدع ذاته؟ لقد أدلى العلماء برأيهم في بيان دلالة هذه الآية، فرأى الطبري أنّ الخداع: « وإن كان خِدَاعًا للمؤمنين في عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادعٌ، لأنه يُظهر لها بفعله ذلك بها، أنه يُعطيها أمنيَّتها، وُيسقيها كأسَ سُرورِها، وهو مُوردُها به حِياض عَطَبها، ومجَرِّعها به كأس عَذابها، ومُزيرُها من غَضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به. فذلك خديعَتُه نفسه، ظَنًّا منه- مع إساءته إليها في أمر معادها - أنه إليها محسن» (الطبري، ٢٠٠٠، ١/ ٢٧٣). وقد قال الزجاج بذلك أيضًا (١٩٨٨، ١/ ٨٥). وبهذا يظهر أنّ خداع النفس هنا يعني إيهامها بالأمنيات الكاذبة، حتى يوصلها لعذاب الله لها في الدنيا والآخرة، لأَنَّ اللَّه تعالى كان يدفع ضرر خداعهم عن المؤْمنين ويعيده إليهمْ.

وقد ذكر الزمخشري هذا المعنى، وزاد أن المخادعة يمكن أن يراد بها: «حقيقة المخادعة أي: وهم في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به، وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدّثهم بالأماني... والمراد بالأنفس هاهنا ذواتهم. والمعنى بمخادعتهم ذواتهم: أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم. ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم» (الزمخشري،١/ ٥٨-٥٩). وعليه فإن الزمخشري يذكر بأن الإنسان مكون من أمرين (الجسد) و(الروح) وكل من القسمين يخدع الآخر ويمنِّيه أمانٍ كاذبة. وقد ذكر الرازي هذين الرأيين وبين أن غالب المفسرين على الرأي الأول (الرازي، ١٤٢٠، ٢/ ٣٠٤).

وأما خداع النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد حُمل على المعنى المباشر للخداع؛ لأنه من بشر لبشر؛ ولأنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، ومما يؤكد ذلك القول قول ابن عاشور: «إن كانوا يريدون من إظهار ميلهم إلى المسالمة خديعة فإن الله كافيك شرهم» (ابن عاشور، ١٩٩٧، ١٠/ ٦٢).

ونخلص من هذا إلى أن تعدد المعاني اللغوية للمفردة الواحدة راجع للسياق ففسر الخداع في حق الله عز وجل بالحقيقة من الخداع مرة، وبالجزاء والعقوبة مرة أخرى والغالب على هذا الرأي. والفائدة البلاغية من ذلك هي المقابلة أو المشاكلة. وفسر خداع المنافقين لله بوقوعه من باب المجاز العقلي؛ إذ ذكر الله وأريد النبي والمؤمنين، أو من باب الاستعارة التمثيلية؛ فالله يخدع المنافقين بالإملاء لهم، والمؤمنون ينفذون حكم الله فيهم، والمنافقون يظهرون لله ولرسوله وللمؤمنين الإيمان ويبطنون الكفر، أو من باب الاعتقاد بإمكانية خداع الله لأنهم لم يقدروا الله حق قدره. أما في الحديث عن خداع النفس فقد وجّه الخداع إلى معنى العذاب أو العقوبة العائدة إليهم جزاء فعلهم، أو الإخفاء بأنهم يخفون عن أنفسهم الحقيقة الظاهرة، وكذا تصنع بهم أنفسهم. وحُمل خداع النبي– صلى الله عليه وسلم – على المعنى المباشر للخداع. وبهذا نرى صرف دلالة الخداع عن المعنى اللغوي في كثير من الأحيان.

المبحث الثالث: آيات الكيد.

تناولت آيات الكيد العديد من مواطن الكيد، وهذه المواطن هي: ١. كيد الله عز وجل بالكافرين. ٢. كيد الكفار للأنبياء والمؤمنين. ٣. كيد الشيطان.٤. كيد النساء. ٥. كيد إخوة سيدنا يوسف. ٦.كيد فرعون. ٧.كيد سحرة فرعون.٨. كيد سيدنا إبراهيم لأصنام قومه. والناظر في هذه المواطن يرى أنها تعود إلى ثلاثة فقط وهي:

كيد الله لمن كفر، وكيد الشيطان بالبشر، وكيد البشر بالبشر.
وقبل أنّ نشرع في بيان دلالة هذه المواطن، نريد أن نتوقف عند دلالة الكيد اصطلاحًا عند بعض المفسرين- فغالبهم تعامل مع اللفظة على أساس أنها معلومة- لنوازن بينها وبين دلالة الكيد في هذه المواطن.

لقد تعددت تعريفات العلماء للكيد، بل لقد تعددت عند المفسر الواحد، ولهذا سندرجها تباعًا لنرى نقاط الاختلاف والالتقاء فيما بينها.

عرف الطبري الكيد بأنه: المكر(٢٠٠٠: ٧/١٥٦،و١٣/٢٨٨) ويرى الراغب أن الكيد هو: «الاحتيال للغير بمكر ومقاساة، وعلى سبيل تصور هذا المعنى قيل: فلان يكيد بنفسه، والمكر مثله إلا أنه أعم؛ لأنه قد يقال في اجتلاب المنفعة»(الراغب، ١٩٩٩، ٢/٨٣٢).ويعلق ابن عاشور على هذا الكلام بقوله : «إن كان يستعمل في المذموم أكثر وهو يقتضي أن الكيد أخص من الاحتيال وما ذلك إلا لأنه غلب استعماله في الاحتيال على تحصيل ما لو اطلع عليه المكيد لاحترز منه، فهو احتيال فيه مضرة ما على المفعول به، فمراد الراغب بالمذموم المذموم عند المكيد لا في نفس الأمر «(ابن عاشور، ١٩٩٧، ٩/١٩٢).

ويرى ابن عطية أنّ الكيد: الاحتيال بالأباطيل (١٤٢٢، ١/٤٩٩) قال الرازي: «فالكيد: السعي في الحيلة والخديعة، ونهايته إلقاء الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه ولا سبيل له إلى دفعه»(الرازي، ١٤٢٠، ١٨ / ٤٨٨-٤٨٩، وانظر: ٨/٣٤٤، و١٠/١٤٢) وزاد في موضع آخر: «الكيد هو فعل يسوء من نزل به وإن حَسُن ممن صدر منه» (السابق، ٢٨/٢٢٧)، وقد تبعه الخازن (١٤١٥، ١/٣٩٩) والشعراوي في هذا (١٩٩٧، ٧/٤٤٩١).

وجمع أبو حيان (الأندلسي، ٢٠٠١، ٣/٣٠٨) بين تعريفي الطبري وابن عطية، وعرفه ابن كمال باشا بأنه: «الأخذ على خفاء، ولا يعتبر فيه إظهار الكائد خلاف ما يُبْطِنُه»(انظر رأي ابن كمالٍ باشا في: ابن عاشور،١٩٩٧: ٩/١٩٢). ويعلق ابن عاشور على تعريفي الراغب وابن كمال باشا بقوله: «ويتحصَّل من هذه التَّدقيقات: أنّ الكيد أخصّ من الحيلة ومن الاستدراج «(ابن عاشور، ١٩٩٧، ٩/١٩٢).

ولابن عاشور العديد من التعاريف للكيد، إذ يرى أنّ «الْكَيْدُ وَالْمَكْرُ مُتَقَارِبَانِ وَكِلَاهُمَا إِظْهَارُ إخفاء الضّر بوُجُوه الْإِخْفَاء تَغْرِيرًا بِالْمَقْصُودِ لَهُ الضُّرُّ «وَالْكَيْدُ:»: فِعْلُ شَيْءٍ فِي صُورَةٍ غَيْرِ الْمَقْصُودَةِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى مَقْصُودٍ». وَالْكَيْدُ: التَّحَيُّلُ عَلَى إِلْحَاقِ الضُّرِّ فِي صُورَةٍ غَيْرِ مَكْرُوهَةٍ عِنْدَ الْمُتَضَرِّرِ». (انظر هذه التعريفات على الترتيب في: ابن عاشور، ١٩٩٧، ٢٧/٧٧ و١٢/٢١٣، و٣٠/٢٦٨. وانظر: ١٢/٢٥٨. وانظر: ١٧/٩٧)، وجعل الشعراوي صفة الخفاء في الكيد تشير إلى أنه «إيقاع الضرر بالغير بحيث يبدو أنه كيدٌ من غيرك»(الشعراوي، ١٩٩٧، ٣/١٧٢٢-١٧٢٣).

إنّ الناظر فيما سبق من تعاريف يجد أنّ الكيد يشمل الصفات الآتية: تدبيرٌ لإيقاع المضرة بالآخر، في صورة من الخفاء، ويفترق عن الاحتيال الذي يكون في المكر بأنه أخص منه؛ إذ قد يكون المكر لجلب منفعة، ومع ذلك فقد قيل: إنّ الغالب في الكيد أن يكون ضررًا؛ وعليه فهو يتقاطع مع المكر في هذه الصفة؛ إذ هي منوطة بالفاعل.

كيد الله عز وجل بالكافرين:

في معرض شرحنا عن دلالات كلمة (الكيد) سنتطرق للحديث عن معناها أولًا في حق الله عز وجل عندما يقول: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (الأعراف:١٨٣، والقلم :٤٥)، ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ (يوسف:٧٦)، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (الطارق:١٦)، فهل يجوز إطلاقها على المعنى اللغوي؟

فسّر ابْنُ عَبَّاسٍ الآية الأولى بأنه: «يُرِيدُ إِنَّ مَكْرِي شَدِيدٌ». (الرازي، ١٤٢٠، ١٥/٤١٨). وقال بهذا القول كل من: القرطبي، ٢٠٠٣، ٧/٣٢٩؛ السيوطي، ٣/٦١٨؛ الشعراوي، ١٩٩٧، ٣/١٧٢٢) ولقد رأينا سابقًا أن الطبري عرف الكيد بالمكر، لكنه عند تفسير كيد الله يقول: «المـهَل، ثم يأخذه بأعماله السيئة، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعدَّ له. وذلك استدراج الله إياه. وأصل «الاستدراج» اغترارُ المستدرَج بلطف من استدرجه حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه محسنٌ، حتى يورِّطه مكروهًا» (الطبري، ٢٠٠٠، ١٣/٢٨٧). فكيد الله إذن استدراجهم ثم تعذيبهم، وبهذا قال الزجاج (١٩٨٨، ٥/٣١٣). ويرى النحاس أنّ: «الكيد من الله جلّ وعزّ هو عذابه إذا أتاهم من حيث لا يشعرون وهذا معنى الكيد في اللغة» (النحاس، ١٤٠٩، ٢/٨٢). وتبعه ابن عطية (١٤٢٢، ٥/٤٦٧) والرازي (١٤٢٠، ١٥/٤١٩) والخازن (١٤١٥، ٤/٣٣١. وابن عاشور (٣٠٢٦٨،١٩٩٧) وأوّلها الخازن بالأخذ أيضًا (٢/ ٢٧٧) والنتيجة واحدة وهي العذاب. وفي قول النحاس إشارة لافتة أنّ الكيد لغة هو العذاب، فهل يمكن إطلاق هذا التفسير على كل كيد؟

يقول الزمخشري مبينا معنى الكيد: "سماه كيداً لأنه شبيه بالكيد، من حيث أنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان»(الزمخشري، ٢/١٨٢؛ الأندلسي، ٢٠٠١، ٥/٢٣٤)، وعليه فليس كيد الله كيدًا على الحقيقة، ولهذا يقول الإمام الرازي: «لفظ الكيد مشعر بالحيلة والخديعة، وذلك في حق الله تعالى محال إلا أنا ذكرنا قانونا معتبرا في هذا الباب، وهو أن أمثال هذه الألفاظ تحمل على نهايات الأغراض لا على بدايات الأغراض...فالكيد السعي في الحيلة والخديعة، ونهايته إلقاء الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه ولا سبيل له إلى دفعه، فالكيد في حق الله تعالى محمول على هذا المعنى» (الرازي، ١٤٢٠، ١٨/٤٨٨).إذن فكيد الله مرتهن بالنتيجة فقط لا بمقدمات الكيد، ونتيجة الكفار مع الله تعذيبهم على صنيعهم.

بناء على ما سبق من بيان دلالة كيد الله نرى أنها فسرت بتفسيرين هما؛ المكر والعذاب، والحقيقة أنّ من فسر الكيد بالمكر أبقانا مرتهنين في دائرة الغموض، لأننا سنقول: ما معنى مكر الله؟ وهذا ما سنراه في دلالة آيات المكر لاحقًا.

ونجد كيدًا لله من نوع آخر يكون الله فيه مع نبيه يوسف- عليه السلام- فيكيد الله له مقابل إخوته، فما هو كيده هنا؟ لقد روي عن ابن عباس أنه فسرها بقوله: معناه صنعنا (القرطبي، ٢٠٠٣،

٢٣٦/٩) وكذا الضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيّ ُ (ابن عطية، ١٤٢٢، ٢٦٥/٣؛ الأندلسي، ٢٠٠١، ٣٠٦/٦) وتبعه مقاتل بن سليمان (١٤٢٣، ٣٤٥/٢). وهذا يشير إلى أنّ الله هيّأ له أسباب أخذه لأخيه. وبيّن الأنباري دلالة (كدنا) في الآية، فقال: « فيقال: معناه أَردنا. وأَنشدَنا أَبو عليّ العنزيّ للأَفْوَه (البيت من البسيط، وقبله: (والبَيْتُ لا يُبْتَنَى إلّا له عَمَدٌ... ولا عِمَادَ إذا لمْ تُرسَ أَوْتَادُ) وهو في ديوانه بتحقيق، محمد التونجي، ص ٦٦):

فإنْ تَجَمَّعَ أَوْتادٌ وأَعْمِدَةٌ... وسَاكنٌ بلغوا الأَمرَ الَّذي كَادُوا

معناه الَّذي أَرادوا، وقال الآخر (البيت من الكامل بلا نسبة في: ابن جني، ٣١/٢، و٤٨/٢؛ الجوهري، ١٩٨٧؛ المرتضى، ١٩٥٤، ٣٣١؛ ابن منظور، ١٤١٤):

كادَتْ وكِدْتُ وتلك خير إِرَادَةٍ... لوْ عادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبابَةِ ما مَضَى

معناه أَرادَتْ وأَردتُ» (الأَنباري،٩٧).

وذهب الزمخشري إلى أنّ «كدنا لِيُوسُفَ يعنى: علمناه إياه وأوحينا به إليه» (الزمخشري، ٤٩١/٢)؛ وتبعه أبو حيان (الأندلسي، ٢٠١١، ٣٠٦/٦)، أي علمناه طريقة الكيد البشري الناجعة لنجاح مراده. ويبيّن الرازي أن تفسير هذه اللفظة محل خلاف، فقال: «ثم اختلفوا في المراد بالكيد هاهنا فقال بعضهم: المراد أن إخوة يوسف سعوا في إبطال أمر يوسف، والله تعالى نصره وقواه وأعلى أمره. وقال آخرون: المراد من هذا الكيد هو أنه تعالى ألقى في قلوب إخوته أن حكموا بأنَّ جزاء السارق هو أن يُسْتَرَقَّ، لا جرم لما ظهر الصواع في رحله حكموا عليه بالاسترقاق، وصار ذلك سببًا لتمكن يوسف عليه السلام من إمساك أخيه عند نفسه» (الرازي، ١٤٢٠، ٤٨٨/١٨-٤٨٩).

ويبين ابن عطية الغاية من وراء إضافة ضمير التفخيم إلى لفظة الكيد، فقال: «وأضاف الله تعالى إلى ضميره لـمّا أخرج القدر الذي أباح به ليوسف أخذ أخيه مخرج ما هو في اعتياد الناس كيد»(ابن عطية، ١٤٢٢، ٢٦٥/٣)، ولهذا يستنتج القرطبي قاعدة شرعية تدل على»جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل إذا لم تخالف شريعة، ولا هدمت أصلا» (القرطبي، ٢٠٠٣، ٢٣٦/٩)، وهذا يدل على أنّ من الكيد ما هو جائز شرعًا؛ لأن الغاية منه تحقيق مصلحة أو منفعة.

وبعد هذا التطواف في دلالة (كدنا) يظهر لنا أنّ جميع الدلالات تصب في دائرة واحدة؛ لأننا نعلم أنّ الله كتب كل ما يحصل للإنسان، وسيدنا يوسف رأى نتيجة مستقبلية له، فلما جرى له ما جرى من إخوته أراد أن يبين لهم مذهب الحق، ساعيًا إلى نتيجة خيِّرة- فهم سيسجدون له في المستقبل- فلمّا أراد أن يضم أخاه إلى جناحه هيأ الله له أسباب النجاح، سواء بتعليمه ما يفعل، أو بإجراء الحكم على ألسنة إخوته، فصنع الله له النصر وقواه على مرادهم.

كيد الشيطان:

ورد لفظ كيد الشيطان في آية واحدة فقط، ذكر الله فيها أن من يقاتل في سبيل الله فالله وليه ومن قاتل في سبيل الشيطان، فهو ولي الشيطان، ويعني بكيده: « ما كاد به المؤمنين، من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان به»(الطبري، ٢٠٠٠، ٥٤٧/٨). ووصف الله كيده بالضعف» إذ لا بطش له، وإنما سلطانه بيِّنٌ باطلٌ، ولضعفه في الحقيقة قال تعالى حاكيا عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ (إبراهيم، ٢٢)» (الراغب، ١٣٢٦/٣-١٣٢٧).

وفسر الرازي الكيد في هذه الآية بقوله: «السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال عليه يقال: كاده يكيده إذا سعى في إيقاع الضرر على جهة الحيلة عليه وفائدة إدخال كان في قوله: (كان ضعيفًا) للتأكيد لضعف كيده، يعني أنه منذ كان، كان موصوفا بالضعف والذلة» (الرازي، ١٤٢٠، ١٤٢/١٠). ورأى القرطبي أن كيده «أي مكره ومكر من اتبعه» (القرطبي، ٢٠٠٣، ٢٨٠/٥) وبيّن الخازن صورة كيد الشيطان إذ «يعني بكيده: ما كاد المؤمنين به من تخويفه أولياءه الكفار يوم بدر»(الخازن، ١٤١٥، ٣٩٩/١) في حين وضّح ابن عاشور أنّ المراد بكيد الشيطان « تدبيره؛ وهو ما يظهر على أنصاره من الكيد للمسلمين، وأكد الجملة بمؤكدين (إن) (وكان) الزائدة الدالة على تقرر ووصف الضعف لكيد الشيطان.» (ابن عاشور، ١٩٩٧، ١٢٤/٥).

إنّنا ومن خلال الكلام السابق يجب أن نفرق بين دلالة كيد الشيطان، وما بين الصورة أو الطريقة التي نفّذ بها كيده ضد المؤمنين، ولهذا فإن كيد الشيطان هنا هو السعي بالفساد بصورة من الصور؛ سواء من تحزيب الناس ضدهم، أو التخويف، أو التدبير لتأليب الناس عليهم، وبهذا نرى أنّ الكيد هنا كان نفسيًا. بيد أننا نعود مرة أخرى فنرى تفسير الكيد بالمكر!

كيد البشر

إنّ هذه الحالة من الكيد تتمثل كما قلنا سابقًا بكيد الكفار للأنبياء والمؤمنين، وكيدهم «إخفاء قصد الضر وإظهار خلافه، فكيدهم مستعمل في حقيقته» (ابن عاشور، ١٩٩٧، ٢٦٨/٣٠)؛ وذلك بشتى الصور من الغوائل التي يبتغونها للمسلمين، ومكرهم بهم ليصدّوهم عن الهدى وسبيل الحق، (الطبري، ٢٠٠٠، ١٥٦/٧) أو بِالْعَدَاوَةِ (الرازي، ١٤٢٠، ٣٤٤/٨)، ونتيجة كيد الكافرين تتلخص -كما قال ابن عاشور- بقصدهم: «الإضرار بالمسلمين في صورة ليست ظاهرها بمضرة» (ابن عاشور، ١٩٩٧، ٢٩٧/٩). وإذا نظرنا في كل الآيات التي تناولت هذا الكيد وجدنا أن أغلب الدلالات صرفت إلى المعنى اللغوي المتمثل بالتدبير والاحتيال على الأنبياء تارة وعلى من تبعهم تارة أخرى.

ومما يرتبط بهذا النوع من الكيد كيد فرعون و سحرته لموسى عليه السلام، فجمعُ كيده يعني «السحرة وسائر من يجتمع لذلك ويدخل فيه الآلات وسائر ما أوردته السحرة» (الرازي، ١٤٢٠، ٦٤/٢٢؛ الأندلسي، ٢٠٠١، ٣٤٨/٧) «ووعدهم وأمرهم بالإعداد لموسى... فهذا هو كَيْدَهُ» (ابن عطية، ١٤٢٢، ٤٩/٤)وقال الخازن: «كَيْدَهُ يعني مكره وسحره وحِيَلُه» (الخازن، ١٤١٥، ٢٠٧/٣؛ ابن عاشور، ١٩٩٧، ٢٤٧/١٦) وفي مقام آخر من مقامات كيد فرعون جاءت دعوته لبناء الصرح «وسمي كيدًا؛ لأنه عمل ليس المراد به ظاهره بل أريد به الإفضاء إلى إيهام قومه كذب موسى عليه السلام

«(ابن عاشور، ١٩٩٧، ٢٤/١٤٨).
وأمّا سحرة فرعون، فقد امتثلوا لأمر فرعون، وجمعوا كيدهم «وسموا عملهم كيدًا؛ لأنهم تواطؤوا على أن يظهروا للعامة أن ما جاء به موسى ليس بعجيب، فهم يأتون بمثله أو أشد منه؛ ليصرفوا الناس عن سماع دعوته فيكيدوا له بإبطال خصيصة ما أتى به. "(ابن عاشور، ١٩٩٧، ١٦/٢٥٦) وصرفُ المعنى في هذه المواضع إلى المعنى اللغوي المخصص بالاحتيال أمرٌ واضح.
ومن أنواع هذا الكيد أيضًا كيد سيدنا إبراهيم لأصنام قومه، ومن المعلوم أنّ الأصنام جماد لا يضره الكيد؛ ولهذا يثير الإمام الرازي في تفسيره تساؤلًا نصه: «لماذا قال: لأكيدنَّ أصنامكم والكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به، وذلك لا يتأتى في الأصنام. وجوابه: قال ذلك توسعًا لما كان عندهم أن الضرر يجوز عليها، وقيل: المراد لأكيدنَّكم في أصنامكم لأنه بذلك الفعل قد أنزل بهم الغم» (الرازي، ١٤٢٠، ٢٢/١٥٣)،ويضيف في موضع آخر لفتة جميلة تشير إلى أنّ السوء الواقع من الكيد مرتهن بمن وقع عليه الكيد، وإن حسُن ممن وقع منه «لأنا نقول الكيد ما يسوء من نزل به وإن حسن ممن وجد منه «(السابق: ٢٨/٢٢١-٢٢٢).وقال الخازن لأكيدن :» أي لأمكرن بها» (الخازن، ١٤١٥، ٣/٢٢٨)، وذهب ابن عاشور إلى تسمية التكسير بالكيد ليس عن طريق الحقيقة وإنما» على طريق الاستعارة أو المشاكلة التقديرية لاعتقاد المخاطبين أنهم يزعمون أن الأصنام تدفع عن أنفسها فلا يستطيع أن يمسها بسوء إلا على سبيل الكيد» (ابن عاشور، ١٩٩٧، ١٧/٩٧) وسمي العزم على إحراق سيدنا إبراهيم كيدًا (في الآية ٧٠ من سورة الأنبياء، والآية ٩٨ من سورة الصافات) لأنهم دبروا الأمر خفية منه (ابن عاشور، ١٩٩٧، ١٧/١٠٧).
وأخيرًا نقف عند الكيد الذي وقع على سيدنا يوسف من قبل إخوته ومن قبل النساء. أمّا إخوة سيدنا يوسف فأرادوا أن يتخلصوا منه حتى ينفردوا باهتمام الأب الذي صُرف إلى يوسف، ولهذا قال ابن عطية في معنى فيكيدوا: «فيعملوا الحيلة على هلاكه» (ابن عطية، ١٤٢٢، ٣/٢٢٠). في هذه الآية يطرح الزمخشري والرازي تساؤلًا مفاده: لماذا لم يقل فيكيدوك بدلا من فيكيدوا لك كما قال: فكيدوني (هود، ٥٥)؟ فصرفوا الرد إلى وجهين:
الأول: «هذه اللام تأكيد للصلة كقوله (للرؤيا تعبرون) وكقولك: نصحتك ونصحت لك، وشكرتك وشكرت لك، وقيل: هي من صلة الكيد على معنى فيكيدوا كيدًا لك» (الرازي، ١٤٢٠، ١٨/٤٢٠).
الثاني: احتمل أن يكون من باب التضمين، ضمن فيكيدوا معنى ما يتعدى باللام، فكأنه قال: فيحتالوا لك بالكيد، والتضمين أبلغ لدلالته على معنى الفعلين، وللمبالغة أُكِّدَ بالمصدر (الزمخشري، ٢/٤٤٤؛ والرازي، ١٤٢٠، ١٨/٤٢٠؛ والأندلسي،٢٠٠١، ٦/٢٣٩).
أمّا كيد النسوة بيوسف فعلم من القرآن أنهن وامرأة العزيز أردن منه الفاحشة، فصرف الله عنه كيدهنّ، وقد وصف كيدهنّ بالعظيم، ولذا قال الإمام الرازي: «وكيد النسوة بالنسبة إلى كيد البشر عظيم ولا منافاة بين القولين وأيضًا فالنساء لهن في هذا الباب من المكر والحيل ما لا يكون للرجال، ولأن كيدهنّ في هذا الباب يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال» (الرازي، ١٤٢٠، ١٨/٤٤٧).وقد صرف معنى الكيد في هذه الآيات إلى معنى المكر والحيلة عند كثير من المفسرين(انظر على سبيل المثال: الزمخشري: ٢/٤٦١؛ الرازي، ١٤٢٠، ١٨/٤٥١؛ القرطبي، ٢٠٠٣، ٩/١٨٥).
ويمكننا أن نلخص هذا المبحث بنقطتين:
الأولى: آيات الكيد في حق الله إما أن تشير إلى الكيد حقيقة أو أنها صُرفت عن المعنى اللغوي لما فيه من وصف الله تعالى بالنقص- جل جلاله- إلى العذاب أو الاستدراج؛ لإيصالهم إلى العقوبة وهذا في حق الكافرين والناظر يرى أن الرأي الثالث هو جزء من الرأي الثاني فغالب العلماء على الرأي الثاني، والغرض البلاغي من ذلك هو المشاكلة أو المقابلة. أمّا في قوله (كدنا) وذلك مع سيدنا يوسف فإن دلالة اللفظ تشير إلى تهيئة الله أسباب النجاح له، سواء بتعليمه ما يفعل، وبإجراء الحكم على ألسنة إخوته، فصنع الله له النصر وقواه على مرادهم.
الثانية: صرفت آيات الكيد الأخرى إلى معانيها اللغوية ما بين مكر واحتيال وتدبير في خفاء، والحكم في هذا الأمر هو السياق، بيد أننا نعود مرة أخرى- في هذه المواضع- فنرى تفسير الكيد بالمكر! ونريد أن نشير إلى صفة وجدت في بعض آيات الكيد، وهي وصف الكيد بالقوة والضعف؛ فقد وصف الله كيده بأنه قوي شديد (متين)، في حين وصف كيد الشيطان بأنه (ضعيف)، وقال: إنه (موهن كيد الكافرين)؛ وإصابة الشيء بالوهن يكون بعد أن كان قويًا محكمًا.

المبحث الرابع: آيات المكر.

تنقسم آيات المكر إلى قسمين: مكر الله عز وجل، ومكر البشر ويشمل؛ مكر الكفار بالأنبياء والمؤمنين، والمكر في قصة سيدنا يوسف (مكر الإخوة، ومكر النساء). لكنّنا سنشرع في تعريف المكر اصطلاحًا عند العلماء، وأول ما يطالعنا تعريف أبي عبيدة إذ قال: لمكر: هو الخديعة والحيلة بالفجور والغدر والخلاف» (أبو عبيدة، ١٣٨١، ١/٢٠٦). وقد وافقه في هذا كل من النحاس (١٤٠٩، ٣/٢٨٥)، وابن عطية (١٤٢٢، ٢/٣٤١، ٢/٥١٨)، والرازي في أحد تعاريفه (١٤٢٠، ٨/٢٣٦، ١٣/١٣٥)، والخازن (١٤١٥، ٢/٣٠٧).
وقيل إنّ المكر جاء: «من اجتماع الأمر وإحكامه، ومنه امرأة مَمْكُورَةٌ، أي: مجتمعة الخلق. وإحكام الرأي يقال له: الإجماع والجمع... فلما كان المكر رأيًا محكمًا قويًا مصونًا عن جهات النقص والفتور، لا جرم سمي مكرا» (الرازي،١٤٢٠، ٨/ ٢٣٥-٢٣٦).
ويذكر الزجاج تمييزًا مهمًا بين الكيد والمكر، فقال إنّ: «مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال» (الزجاج، ١٩٨٨، ٣/١٦٧) وبهذا نرى أن المكر أعلى درجة من الكيد، ويرى الزمخشري أن المكر: «إخفاء الكيد وطيه» (الزمخشري، ٢/٣٣٧)، ولهذا علق أبو حيان على هذا التعريف فقال: «قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: إِنَّ الْمَكْرَ أَخْفَى الْكَيْدِ.»(الأندلسي، ٢٠٠١، ٦/٣٠)، ونلمح من هذا التعريف أن المكر أخص من الكيد إذ إنه يقع في أعلى درجات التخفّي. واشترط ابن عطيّة الاستتار حتى يسمى مكرًا (ابن عطية، ١٤٢٢، ٢/٥١٨). وعرفه الرازي (١٤٢٠، ٨/ ٢٣٥) بنحو تعريف الزمخشري، وكذا ابن عاشور

(١٩٩٧، ٥/٢٤، ٨/٥٠).

وتناول بعض العلماء خصائص المكر من جهة وخصائص الشخص الماكر من جهة أخرى، وبهذا يقول ابن عطية»: والماكر من البشر فاعل باطل في الأغلب،" (ابن عطية، ١٤٢٢، ٤٤٣/١)، وقال في موضع آخر:» والْمَكْرُ: ما يتمرس بالإنسان ويسعى عليه علم بذلك أو لم يعلم « (السابق، ٣١٩/٣). فالماكر شخص يفعل الباطل، حتى ولو لم يكن يعلم أنه يقوم بأمر يقع ضمن دائرة المكر. ويرى ابن عاشور أن المكر» من الخداع ومن المذام، ولا يغتفر إلا في الحرب، ويغتفر في السياسة إذا لم يكن اتِّقاء الضر إلا به»(ابن عاشور، ١٩٩٧، ٤٩/٨-٥٠). وبهذا نرى مخالفة العلماء لرأي الخليل في كون المكر حرام مطلقًا.

إنّ المطلع على غالب التعاريف السابقة يرى أنها عرفت المكر بالاحتيال، بيد أن الشعراوي يفرق بين الحيلة، والمكر؛ فالمكر الحسن يسمى حيلة، ويقابله المكر السيئ «فالرجل الذي يلف ويدور، هو الذي يمكر، فالذي يلف على إنسان من أجل أن يستخلص منه حقيقة ما، والذي يحتال من أجل إبراز حقيقة، فإن كان ذلك بغير قصد الضرر نسميه حيلة، وإن كان بقصد الضرر فهذا هو المكر السيء. ولذلك فالحق يقول: (ومكر السيئ) ومعنى ذلك أن هناك مكراً غير سيِّئ» (الشعراوي،١٩٩٧، ١٤٩٦/٣). ولعل هذا الكلام يفسر قول العلماء: إنّ المكر في غالبه فعل باطل.

ويبدو أن ما قاله الشعراوي صواب، قال ابْنُ سِيدَهْ: الحَوْل والحَيْل والحِوَل والحِيلَة والحَوِيل والمَحَالَة والاحْتِيَال والتَّحَوُّل والتَّحَيُّل، كُلُّ ذَلِكَ: الحِذْقُ وجَوْدَةُ النَّظَرِ والقدرةُ عَلَى دِقَّة التصرُّف»(ابن سيده، ٢٠٠٠، ابن منظور) ولعل ما جرى من كون اللفظة الآن لا تشير إلا إلى الفعل السيئ هو من باب تطور الدلالة.

وبناء على ما سبق نرى أن المكر عند غالب العلماء عرف بأنه فعل مذموم في الغالب؛ إذ لم يرد المكر عند البشر إلا بصورة مذمومة سيِّئة، ولا يكون إلا بخفاء، ونرى أن هذه الخصائص تتقاطع مع الخداع، والكيد، بل لقد عرف المكر بالخداع؛ لنعود مرة أخرى فنرى هذا التماس الشديد بين هذه الألفاظ. لكن العلماء ذكروا خصيصتين للمكر تميزه عن الخداع، وعن الكيد خاصة، إذ يتضح أنّ المكر يتصف بأنه رأي محكم قوي، وهذا الإحكام في التدبير والتخطيط جعله أعلى في درجته من الكيد، والخصيصة الثانية لطيفة الزمخشري؛ إذ جعل المكر أخفى من الكيد، فهو أعلى درجة منه. ونعود هنا إلى الإحصاء في المبحث الأول، وذلك عند حديثنا عن إسناد ألفاظ (الخداع، والكيد والمكر) إلى ذات الله، فقد كان المكر أعلاها، ويحوي صيغة التفضيل، ولعل ذلك يشير إلى اتصاف مكر الله بالخصيصتين السابقتين.

مكر الله عز وجل:

لقد تعرض المفسرون لدلالة مكر الله تعالى، وخلاصة قولهم جاءت على لسان الرازي إذ قال: «المكر: عبارةٌ عن الاحتيال في إيصال الشَّرِّ، والاحتيال على اللَّه تعالى مُحالٌ فصار لفظ المكر في حقِّه من المتشابهات»(الرازي، ١٤٢٠، ٢٣٦/٨). وبعد قراءة في العديد من التفاسير تبيّن أنهم وجَّهوا دلالة المكر المسند لله تعالى إلى عدة توجيهات، وهي:

أولًا:إن مكر الله هو عذابه والجزاء منه على صنيع من عاداه، وقال بهذا كل من: الزجاج (١٩٨٨، ٤١٩/١، و٣٦٠/٢، و٤١٠، و١٢٤/٤)، والنحاس(١٤٠٩، ٥٨/٣)، والزمخشري (٣٦٦/١، و٣٣٧/٢)، وابن عطيّة (١٤٢٢، ١٤٤/٣،و٤٣٣/٢)، والرازي (١٤٢٠، ٣٢٢/١٤)، والخازن (١٤١٥، ٢٣١/٢)، وأبي حيان (الأندلسي،٢٠٠١، ١٢١/٥، ٤٠١/٦)، وابن عاشور (١٩٩٧: ٢٤/). ويبين أبو حيان أن ورود لفظ المكر هنا كان من باب المقابلة، فقال: «سمّاهَا مكرًا إِذْ كانت ناشئةً عن المكر وذلك على سبيل المقابلة» (الأندلسي،٢٠٠١، ٤٠١/٦).

ثانيًا: الاستدراج للكافرين وأخذهم من حيث لا يعلمون، وقال بهذا؛ الزجاج (١٩٨٨، ٤١٩/١)، والزمخشري (١٣٤/٢)، وابن عطية (١٤٢٢، ١١٢/٣)، وأبي حيان (الأندلسي، ٢٠٠١، ٣١/٦). ولهذا نقل الرازي تأويل بعض العلماء لدلالة مكر الله تعالى إذ إنّ: « مُعاملة اللَّه معهم كانت شبيهةً بالمكر فسُمِّيَ بذلك» (الرازي، ١٤٢٠، ٢٣٦/٨). والحقيقة أنّ الاستدراج يؤول بالمُسْتَدْرَج إلى عذاب الله.

ثالثًا: المكر على الحقيقة- وذلك في قصة رفع سيدنا عيسى عليه السلام (وهذا في الآية ٥٤ من سورة آل عمران) - وقال بهذا، الزجاج (١٩٨٨، ٤١٩/١)، والزمخشري (٣٦٦/١)، والرازي (١٤٢٠، ٢٣٦/٨)، والخازن (١٤١٥، ٢٥٠/١). ويؤكد الرازي إمكانية القول بهذا الرأي فـ «هذا اللفظ ليس من المتشابهات؛ لأنه عبارة عن التدبير المحكم الكامل(وقد ذكر الخازن أن المكر في حق الله: التدبير بالحق، ٣٠٨/٢) ثم اختص في العرف بالتدبير في إيصال الشر إلى الغير، وذلك في حق الله تعالى غير ممتنع والله أعلم» (الرازي، ١٤٢٠، ٢٣٦/٨).وقد أشرنا سابقًا أنّ اللفظ قد أصابه نوع من التطور الدلالي فخصص للشر.

ومن المسائل المتعلقة بهذا الباب ما وصف الله به ذاته العليّة بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠)، فما هي دلالة (خير) هنا؟ يقول الزمخشري: «أي؛ مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً، أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب» (الزمخشري، ٢١٦/٢)؛ وبهذا نرى أنّ الزمخشري صرف المسألة إلى باب المفاضلة؛ فالكفار لهم مكر والله له مكر لكن مكره أنفذ وأبلغ. وهذا ما قاله ابن عطية؛ أي أنّه تعالى أقدرهم وأعزهم جانبًا (ابن عطية، ١٤٢٢، ٥١٩/٢).

ويطرح الإمام الرازي سؤالا ونصه :» فإن قِيلَ: كيف قال: ولا خيرَ في مكرهم ؟قلنا: فيه وجوه: أحدها: أن يكون المراد أقوى الماكرين فوضع خير موضع أقوى (وقال بهذا الخازن في تفسيره، ٣٠٨/٢) وأشد، لينبه بذلك على أن كل مكر فهو يبطل في مقابلة فعل الله تعالى. وثانيها: أن يكون المراد خير الماكرين لو قدر في مكرهم ما يكون خيرا وحسنا. وثالثها: أن يكون المراد من قوله: خير الماكرين ليس هو التفضيل، بل المراد أنه في نفسه خير (قال الخازن: «ليس المراد التفضيل بل إن فعل الله خير مطلقا» (الخازن، ١٤١٥، ٣٠٨/٢) كما يقال: الثريد خير من الله تعالى» (الرازي، ١٤٢٠،

٤٧٨/١٥). ونرى من خلال كلام الرازي أنّ الرأيين الأول والثاني يُثبتان وجود المكر على الحقيقة، في حين ينصرف الرأي الثالث إلى تأويل دلالة المكر إلى الفعل الخيِّر. وينقل ابن عطية تفسيرًا لأحد القضاة حول مسألة المفاضلة فيبيّن أنّ «في هذه الجهة- أعني القدرة والعزة - يقع التفضيل لأن مَكَرةَ الكفار لهم قدرة ما، فوقع التفضيل لمشاركتهم بها، وأما من جهة الصلاح الذي فيما يعلمه الله تعالى فلا مشاركة للكفار بصلاح» (ابن عطية، ١٤٢٢، ٥١٩/٢).

وبعدُ؛ فقد وُجِّه المكر في حق الله عز وجل إلى: العذاب، والاستدراج؛ ففعله ليس مكرًا، بل يشبه المكر من منظور بشري، أو أنه بقي على معناه اللغوي مع الإشارة إلى أنّ المكر هو التدبير المحكم الكامل، ثم خصص عرفًا ليشير إلى التدبير لإيصال الشر للغير وعلى هذا لا مشكلة في بقائه على معناه اللغوي , ونرى هنا أنّ المعنى السياقي يبتعد إلى حدٍّ ما عن المعنى المعجمي.

مكر البشر:

ويشمل؛ مكر الكفار بالأنبياء والمؤمنين، والمكر في قصة سيدنا يوسف (مكر الإخوة، ومكر النساء)، وهذا الباب يتناول المكر من حيث صوره؛ لأن المكر أمر حاصل في حق البشر، ولسنا معنيين هنا بتفسير الآيات التي ورد فيها مكر البشر، ولكننا نبحث عن دلالات المكر فيها. وبداية فمكر الكفار بالأنبياء انصرف إلى العديد من الأعمال السيِّئة التي يسعى الكفار من ورائها لإلحاق الضرر بهؤلاء الأنبياء، وقد ذكر لنا المفسرون العديد من صور المكر، وهي: الخداع، والاحتيال بالخفاء، والاستهزاء، والتكذيب، والغيبة والنميمة، والترويج للباطل، وتدبير المكائد، والغدر، والسعي لقتل الأنبياء، والإغواء، والشرك، والنفاق (الفراء، ٣٧١/٢)، (أبا عبيدة،١٣٨١، ٢٠٦/١-٢٧٦)، (الزجاج، ١٩٩٨، ٢٧٥/٤)، (النحاس، ١٤٠٩، ٢٨٥/٣)، (الزمخشري، ١٤١/٢، ٢١٦٣/٣، ٣٧٣/٣، ٥٨٥/٣، ٣٠٦/٣، ٦١٨/٣)، (ابن عطية، ١٤٢٢، ٣٤١/٢، ١١٢/٣، ٢٨٤/٣، ٣١٩/٤، ٢٦٤/٤، ٤٢١/٤، ٤٣٢/٤)، (الرازي، ١٤٢٠، ١٣٥/١٣، ٣٣٩/١٤، ١٩٨/٢٠، ٦٥٦/٣٠)، (الخازن، ١٤١٥، ١٥٣/٢- ٣٠٧-٣٠٨- ٤٣٥، ٢٠/٣- ٧٣-٣٥٠-٤٥٤-٤٥٩)، (الأندلسي، ٢٠٠١، ١٤١/٥، ٣٣٠/٦-٣٣٤- ٤٥٤- ٢٥٢/٨، ١٩/٩-٢٠-٤٢، ٢٨٥/١٠، ٢٨٤/١٩، ٢٠٨/٢٢-٢٠٩)، (ابن عاشور، ١٩٧٧، ٤٩/٨-٥٠، ١٣٣/١١، ٣٣٧/١٣، ٢٧٤/٢٢، ٣٣٤-٣٣٧، ٢٩/ ٢٠٧)، (ابن عاشور، ١٩٧٧، ٤٩/٨-٥٠، ١٣٣/١١، ٣٣٧/١٣، ٢٧٤/٢٢، ٣٣٤-٣٣٧، ٢٠٧/٢٩).

أمّا النوع الآخر من مكر البشر بالبشر فهو ما ورد في قصة سيدنا يوسف؛ إذ مكر به إخوته من جهة، ومكرت النسوة بامرأة العزيز من جهة أخرى. وقد ذكر غالب المفسرون أنّ مكر إخوته، هو تدبيرهم أمر إلقائه في الجب، وإقناع سيدنا يعقوب بصدق الحادثة التي حصلت له (انظر على سبيل المثال: الطبري،٢٠٠٠، ٢٨٣/١٦؛ الزمخشري، ٢٧١/٩؛ ابن عطية، ١٤٢٢، ٢٨٣/٣). في حين كان مكر النسوة بامرأة العزيز مثار تساؤل عند الزجاج، فقال: «إن قال قائل: لم سُمِّيَ قولُهنّ مكراً؟ فالجواب فيه أنها قد أطلعتهن، فاسْتَكْتَمَتْهُنَّ فمكرنَ بها وأَفْشَيْنَ سرها، فلما سمعت بما فَعَلْنَ أرادت أَنْ يُوقَعْن فيما وقعت فيه فأَرسَلت إليهن» (الزجاج، ١٩٨٨، ١٠٥/٣؛ الزمخشري، ٤٦٣/٢؛ ابن عطية، ١٤٢٢، ٢٣٨/٣؛ الرازي، ١٤٢٠، ٤٤٨/١٨؛ القرطبي، ٢٠٠٣، ١٧٧/٩؛ الخازن، ١٤١٥، ٥٢٥/٢؛ ابن عاشور، ١٩٩٧، ٢٦٢/١٢). وصرف الزمخشري دلالة مكر النساء أيضًا إلى (الغيبة) فقال: «بِمَكْرِهِنَّ باغتيابهنّ وسوء قالتهنّ...وسمى الاغتياب مكراً؛ لأنه في خفية وحال غيبة، كما يخفى الماكر مكره « (الزمخشري، ٤٦٣/٢).

وقد وضع ابن عطية لصحة تسمية هذا الفعل بالمكر شرطين، فقال: «وهذا لا يكون مكرًا إلا بأن يظهرن لها خلاف ذلك ويقصدن بالإفشاء أذاها» (ابن عطية، ١٤٢٢، ٢٣٨/٣). وهذا ما كان من أمر إخوة سيدنا يوسف؛ إذ أظهروا الحب له أمام سيدنا يعقوب، وأخفوا تدبير إلقائه في الجب؛ أي إرادة الأذى والسوء.

لقد كان تدبيرهم مكرًا عظيمًا؛ إذ كان الخيار الثالث، قال تعالى: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾.(يوسف، ٩)، فالقاتل لابدّ أن يظهر، والملقى في أرض بعيدة قد يعود كما عاد المُلقي ثم جاء خيار الإلقاء في الجب الذي فيه إجماع؛ ليكون أحكم وأقوى، فالعبد يصبح مُلْكًا لسيِّده وأمره ليس بيده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. (يوسف، ١٥) ومن السابق نرى أن كلا الحادثتين تدبير الضر للآخر وإلحاق الأذى به في حال من الإخفاء.

الخاتمة:

وبعد هذا العرض لدلالة ألفاظ (الخداع، والكيد، والمكر) في القرآن الكريم، وبيان آراء العلماء فيها خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

أولًا: إنَّ المعاجم اللغوية تضع القارئ في حيرة من أمره؛ إذ لا تسعفه في تقديم تميز دلالي واضح بين هذه الألفاظ، بل إنها تعرّف كل واحدة بالأخرى، ولقد انعكس هذا الأمر على تفاسير القرآن الكريم إلى حد كبير.

ثانيًا: أشارت الدراسة الصرفية الإحصائية إلى:

١. حضور الجملة الفعلية بقوة، وما جاء من الأسماء كان جزءًا من تركيبها، ولعل في ذلك إشارة إلى غلبة التدبير الفعلي على التدبير القولي.

٢. اتصلت هذه الألفاظ في الغالب الكثير بدلالة الجمع، ولعل في ذلك إشارة إلى الحاجة إلى التفكير الجمعي الذي يقرب التدبير والتخطيط للهدف المنشود.

ثالثًا: يشير مجموع تعاريف العلماء للخداع إلى أنه: إرادة السوء بالآخر والتدبير له بفعل أو قول، أو منهما معًا، ويصدر من شخص مأمون الجانب؛ يظهر الخير ويبطن الشر، في حالة من الخفاء.

رابعًا: يتقاطع كل من الكيد والمكر مع الصفات السابقة، إلا أنّ الكيد قد يكون لجلب منفعة، أما المكر فالغالب فيه إرادة السوء بالآخر، والمكر يختلف عن الخداع وعن الكيد بأنه تدبير قوي كامل أكثر مما هو عليه فيهما، كما أنه أشد خفاء منهما.

خامسًا: اتصف الكيد بأنه قد يكون ضعيفًا أو قويًا، بيد أن المكر اتصف بالسرعة والحجم.

سادسًا: صرف غالب العلماء (خداع الله وكيده ومكره) إلى دلالة (العذاب) سواء في الدنيا أو الآخرة، فالله منزه عن هذه الأوصاف، وغايته البلاغية المشاكلة أو المقابلة، وبهذا يبتعد عن الدلالة اللغوية.

ملحق الآيات:

	السورة	رقم الآية	الآية/أو الجزء من الآية
آيات الخداع			
١	البقرة	٩	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
٢	النساء	١٤٢	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾
٣	الأنفال	٦٢	﴿إِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾
آيات الكيد			
١	آل عمران	١٢٠	﴿ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾
٢	النساء	٧٦	﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾
٣	الأعراف	١٨٣	﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾
٤	الأعراف	١٩٥	﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾
٥	الأنفال	١٨	﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾
٦	هود	٥٥	﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾
٧	يوسف	٥	﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾
٨	يوسف	٢٨	﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾
٩	يوسف	٣٣	﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾
١٠	يوسف	٣٤	﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
١١	يوسف	٥٠	﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾
١٢	يوسف	٥٢	﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾
١٣	يوسف	٧٦	فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾
١٤	طه	٦٠	﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾
١٥	طه	٦٤	﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾
١٦	طه	٦٩	﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾
١٧	الأنبياء	٥٧	﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾
١٨	الأنبياء	٧٠	﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾
١٩	الحج	١٥	﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾
٢٠	الصافات	٩٨	﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾
٢١	غافر	٢٥	﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾
٢٢	غافر	٣٧	﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾
٢٣	الطور	٤٢	﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾
٢٤	الطور	٤٦	﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
٢٥	القلم	٤٥	﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾
٢٦	المرسلات	٣٩	﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾
٢٧	الطارق	١٥	﴿ نَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾
٢٨	الطارق	١٦	﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾
٢٩	الفيل	٢	﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾
آيات المكر			
١	آل عمران	٥٤	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾
٢	الأنعام	١٢٣	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
٣	الأنعام	١٢٤	﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾
٤	الأعراف	٩٩	﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾
٥	الأعراف	١٢٣	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾
٦	الأنفال	٣٠	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

٧	يونس	٢١	﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَاۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾
٨	يوسف	٣١	﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾
٩	يوسف	١٠٢	﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾
١٠	الرعد	٣٣	﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾
١١	الرعد	٤٢	﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًاۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾
١٢	إبراهيم	٤٦	﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾
١٣	النحل	٢٦	﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾
١٤	النحل	٤٥	﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾
١٥	النحل	١٢٧	﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾
١٦	النمل	٥٠	﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
١٧	النمل	٥١	﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
١٨	النمل	٧٠	﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾
١٩	سبأ	٣٣	﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾
٢٠	فاطر	١٠	﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾
٢١	فاطر	٤٣	﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾
٢٢	غافر	٤٥	﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾
٢٣	نوح	٢٢	﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾

المراجع:

الأخفش، **أبو الحسن، معاني القرآن**، تحقيق: هدى محمود قراعة، القاهرة، مكتبة الخانجي.

الأزهري، محمد بن أحمد أبو منصور (٢٠٠١). **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الأنباري، أبوبكر (١٩٨٧). **الأضداد**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية.

الأندلسي، أبو حيان (٢٠٠١). **البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط ١ بيروت، دار الكتب العلمية.

الأودي، الأفوه (١٩٩٨). **الديوان**، تحقيق: محمد التونجي، ط ١، بيروت، دار صادر.

البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ). **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير، ط ١، بيروت، دار طوق النجاة.

البيضاوي، ناصر الدين (١٤١٨هـ). **تفسير البيضاوي** (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

اتيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف (١٩٨٠). **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، هذبهُ: ابن منظور، محمد بن جلال الدين المكرم، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ابن جني، عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، وزارة الأوقاف، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الدينية.

ابن جني، عثمان (١٩٥٤). **المنصف**، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبدالله أمين، ط ١، القاهرة، دار إحياء التراث.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (١٩٨٧). **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط ٤، بيروت، دار العلم للملايين.

ابن الحجاج، مسلم، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (١٤١٥هـ). **تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)**، تصحيح: محمد علي شاهين، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.

الداني، أبو عمر بن عثمان (٢٠٠٥). **جامع البيان في القراءات السبع المشهورة**، تحقيق: محمد صدوق الجزائري، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.

دايل، فان (٢٠٠٠). **النص والسياق**، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط ١، الدار البيضاء، المغرب، أفريقيا الشرق.

الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (١٤٢٠هـ). **تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)**، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (١٩٩٩)، (٢٠٠١)، (٢٠٠٣). **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط ١. تحقيق ودراسة: هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ط ١. تحقيق ودراسة: عادل بن علي الشِّدِي، ط ١، الرياض، دار الوطن.

الزجاج، إبراهيم بن السري (١٩٨٨). **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط ١، بيروت، عالم الكتب.

الزمخشري، جار الله، **الكشاف**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ابن سليمان، مقاتل أبو الحسن (١٤٢٣هـ). **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (٢٠٠٠). **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور**، بيروت، دار الفكر.

شاهين، عبد الصبور (١٩٨٠). **المنهج الصوتي للبنية العربية**، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الشعراوي، محمد متولي (١٩٩٧). **تفسير الشعراوي**، القاهرة، مطابع أخبار اليوم.

الطبري، محمد بن جرير (٢٠٠٠). **تفسير الطبري**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٩٧). **التحرير والتنوير**، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع.

العباسي، أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت. عالم الكتب.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى (١٣٨١هـ). **مجاز القران**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي.

ابن عرفة، محمد بن محمد (١٩٨٦). **تفسير الإمام ابن عرفة**، تحقيق: حسن المناعي، ط ١، تونس، مركز البحوث بالكلية الزيتونية.

العسكري، أبو هلال، **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط ٢، دار الفكر.

ابن عطية، عبد الحق (١٤٢٢هـ). **تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)** تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (١٩٧٩). **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت.

الفارسي، أبوعلي (١٩٨٤). **الحجة للقراء السبعة**، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاني، دمشق، دار المأمون للتراث.

الفراء، يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمّد النجار، نشر ناصر خسرو، طهران، د. ط، د. ت.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٢٠٠٣). **تفسير القرطبي**، تحقيق: هشام البخاري، الرياض، دار عالم الكتب.

محمود، المثنى عبد الفتاح (٢٠٠٨). **نظرية السياق القرآني**، ط ١، عمان، دار وائل للنشر.

المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (١٩٥٤). **أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه).

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤هـ). **لسان العرب**، ط ٣، بيروت، دار صادر.

النحاس، أبوجعفر (١٤٠٩هـ)، **معاني القرآن الكريم وإعرابه**، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط ١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم (١٩٩٩)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، تدقيق: حسن نجار، يوسف الصميلي، شرح: محمد التونجي، ط ١، القاهرة، صيدا، لبنان، بيروت، مكتبة الآداب، المكتبة العصرية، مؤسسة المعارف.

الهنداوي، عبد الحميد أحمد (٢٠٠٨)، **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**، ط ١، إربد، عمان، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العلمي.